ينابيع من التراث القومي

السوداني

الإبـــــــــــل

الدكتور /عمر محمد العماس

omerelammas.com

الإهـــداء

إليكم أحبابي...رعاة الإبل...أينما كنتم..

وإلى من هو منكم.. في قائمة الشرفاء...

من أبناء أمتنا السودانية المعطاءة،

وإلى كل من يأتي عبركم.. من المهتمين بالتراث،

وإلى كل من جاءكم يسعى للعلم وللمعرفة...

أهدي هذا الصرح التراثي..

الذي أرجو أن يكون شامة آسرة... في صفحات التراث النيرة...

وأن يجد نافذة يعبر منها للخير..

وللفائدة..

لكل أفراد الأمة الواعدة.

المؤلف

omerelammas.com

المقدمة

عزيزي القارئ....

إنّ للتراث السوداني ينابيع..

ثرة... متنوعة... لا تنضب...

فهي ذات جذور ممعنة في التعمق..نابضة و دافقة،

لا يتوقف معينها أبداً،

وهي متجددة في ذات الوقت...

تهدي فيضها عبر مساحات التاريخ...

وعبر حقبه المتعاقبة...

لأمة لم يتوقف عطاء أفرادها..

وعطاء مجتمعاتها...

عن الإتيان بكل ما هو جديد... وما هو مبتكر..

وكل ما هو موثوق رباطه...

مشتملاً على وجدانياته، وعلى قيمه،

وعلى نشاطاته الحياتية المتعددة...

التي ميزته كثيرا عن غيره من الأمم الأخرى ...

في كل حقبه التاريخية...

الزاخرة بالتنوع الحضاري،

omerelammas.com

المتمدد مع مرور العصور...

وتنوع مآل الحياة البشرية....

لك عزيزي القارئ...

أن تتصفح معي الصفحات القادمات...

لنقف سوياً على بعض مضامين التراث..

وعلى شيء من مضامين التراث القومي السوداني..

بصفة خاصة،

رغبة في إزاحة الستار..

ونفض الغبار... العالق بها،

من متكدسات الماضي.. وترسباته،

فلعلنا نسوق أنفسنا..

بدأً من هذا المنطلق الصلب...

والسمو إلى آفاق..

تجعل منا.. منارة بارزة.. وزاهية ..

في رفع شأن الأمة السودانية..

والترقي بها..

إلى ما هو أسمى.. و أنبل،

وإلى ما هو أكبر قدراً..

omerelammas.com

و أرفع مكانة..

بين الأمم من حولنا،

فتراثنا القومي...

غني بما فيه..

ونابض لا تكف ينابيعه..

ولا تتوقف عن تدفق..

كل ما هو مفيد..

لأمتنا..

ولغيرها من الأمم...

في عصر أصبح للتراث فيه..

قيمة..

وفي الحفاظ عليه مكرمة.

المؤلف

omerdammas.com

التراث

يشتمل التراث السوداني... الذي نحن بصدد الغوص في بحوره، و التوغل في عمق ينابيعه، على مختلف نشاطات الحياة العملية منها.. والنظرية.. والوجدانية، شاملة الجوانب الأدبية.. والعلمية.. والتجارب الفردية، والجماعية، القبلية منها.. والجهوية.. والوافدة، من دول الجوار.. أو الدول والشعوب ذات الأثر الثقافي.. واسع الانتشار.

قد يشمل التراث أيضاً، ما قد جاء به الرحالة.. والسياح.. والهاربين من أوطانهم، جراء وطأة الحروب الداخلية.. أو الحروب الخارجية، أو الهاربين من العدالة في أوطانهم، أو المشردين من مواطنهم، لأي سبب كان.. بصفة عامة، أو التجار.. أو الرعاة.. أو أصحاب الحرف والصناعات، أو الذين تزاوجوا مع المجتمعات السودانية.. فأنجبوا ما شاء لهم أن ينجبوا.. من الأولاد ومن البنات، وكل أصحاب الحاجات المرئية.. وغير المرئية.

كل هذا الفيض الذي ذكرنا.. من الحالات، استطاع هذا التراث الموروث.. أن يكوّن بوتقة واحدة، تحدث عن نسيج المجتمع السوداني.. من خلال حقب متتالية، لكل منها شكلها الحياتي... وتراكماتها الثقافية، التي تخصها، والتي أصبحت إرثاً يتعلق بحياة الأمة السودانية، وأصبحت تراثاً موحداً لكل الأمة، التي تتحيز رقعة.. ذات مواصفات معينة.. الطبيعية منها والمناخية.. بصفة عامة، والمكونات.. والأصول اللغوية.. والعقائدية.. والوراثية، والتراكيب الخلقية.. والآمال والتطلعات القومية.. والنزعات القبلية.. والانتمائية.. والعلاقات العامة.. بمن هم في الجوار، أو ما قد يتخطاهم بالحد المقبول.

التراث السوداني... إن كان ممارسة عملية محسوسة وواقعية.. أم كان رمزياً ومعنوياً.. كما هو في القصص.. والشعر.. والأدب، بمختلف فنونه.. وبكل

omeralamin.com

تفاصيله.. فهو يحدّث عن أمة واحدة...وعصر أو عصور معينة... سطرت على صفحات نشاطات الأمة.

يمكن لنا أن **نقول:**

إنّ التراث السوداني بالنسبة لنا كسودانيين، هو الحياة، محددة بفترات وحقب.. لا زالت متعلقة بأذهان الأفراد.. أو ما قد اندثر منها بفعل الزمن.. فالتراث حياة مستمرة.. تستمد كل حقبة منها ما شاءت.. أن تحذو من حذو.. عامدة إلى تخليده، وإلى تطويره، بالإضافة أو بالحذف أو بالتعديل.

إنّ القصص.. والحكاوي، التي نجترها اليوم... ما هي إلاّ حياة سبقت أحداثها، لكننا لا زلنا نمارس بعض نشاطاتها.. ونعجب بالكثير من فقراتها.. ونزاول أحداثها وكأننا نحن الشخوص الأصليين، سوى أن كان ذلك ممارسة.. أو عن طريق ألحكي.. أو عن طريق التمثيل، أو الكتابة، بأي صيغة مقروءة..

كما أنّ القصص وبكل ما جاء فيها من خرافات.. أو أساطير.. أو بدع، فهي تهفو إلى غرس قيم معينة في المجتمعات، أو الابتعاد عن صفات.. وممارسات.. وخصال منبوذة، وكلها وفي مجملها.. نابعة من عصارة الأمة الواحدة، وكلها تعبر تعبيراً صادقاً على ما يجوس بدواخل أفرادها...

قد يتبنى معانيها البعض وينسبها لمن ينسب... أو يعضد بها ما ينشده قولاً أو فعلاً، وقد يتحاشاها البعض، بحسب رؤيته الذاتية.. وبحسب تفسيراته للأشياء، ولكنها في خاتمة المطاف.. فهي تحمل من المعارف ما يراود خيال كل منتمي للمجموعة الواحدة، فتصبح بذلك سلوكاً مشتركاً... وهو ما سيؤدي بها لأن تكون تراثاً قومياً.. في مقتبل الزمان.

omeralamin.com

من مضامين هذه القصص المتنوعة.. تنحدر الأمثال، التي تعبر عن مواقف حياتية مجتمعية، فالأمثال في مجملها تختصر كثيراً من السطور والفقرات، كي تدلل على سلوك أو معرفة.. تتضمن إرشاداً.. أو عظة.. أو توجيهاً.. أو تعديل نمط حياتي بعينه... فالمثل يحمل مقولة **(خير الكلام ما قل ودل)**، وقد يستخلص البعض.. بعض الجمل أو بعض التعبيرات.. التي ستصبح أقوالاً مأثورة مستقبلاً.. تصب في ذات الوعاء التراثي للمجتمع... ونقصد به هنا المجتمع السوداني.

تأتي وتصاغ القصص.. في قوالب.. وفي مقامات سردية.. تختلف من وقت لآخر.. أو من موضع لغيره.. أو من صياغة لأخرى.. أو من أسلوب لأسلوب.. فمنها ما قد يحكى كما هو مألوف في الأحاجي، وهو النوع اللفظي من القصص.. والذي غالباً ما يحكى للصغار من البنين والبنات ليلاً.. وغالباً ما تقوم النساء بطرحه بشكل درامي.. ونقصد بالنساء هنا **(الحبوبات)** أو الأمهات، أومن يحذو حذوهم من الخالات.. والعمات.. والأخوات الكبار...

كثيراً ما تتضمن قصص الأحاجي ..كثيراً من الخرافات مثل **(الغول)**.. ومثل **(ود أمبعلو)..** ومثل **(النسناس)**.. ومثل **(الشكلوتة)..** ومثل **(الصقور الكبيرة)**.. أشباه **(تيلنق أب صلعة)..** التي لا ترى إلاّ في الخيال.. ومثل **(البعاعيت)** جمع **(بعاتي)...** وغير ذلك مما هو خرافي.. يثير انتباه الصغار، ويدعوهم إلى تفهمه، ويثير مشاعرهم بالخوف.. أو بالتوقعات الشجاعة.. أو تلك التي تدعو إلى الإحباط.

أصبحت مثل تلك القصص تدرّس ضمن مناهج التعليم النظامي **(المدرسي)**، عن طريق ألحكي.. وعن طريق التحليل الكتابي أو القرائي، مع استخلاص العبر والمعارف اللاّزمة، ومما هو مؤسف.. فالمعلم وفي متابعته العلمية تلك.. لا يدرك أنه يقوم بتحليل الوجه التراثي لتلاميذه، بل يقف عند تلك الخلاصة التي توصل إليها من القصة، فكان وعلى أقل التقدير.. أن يعطي التلميذ جملة واحدة... يغطي بها كل مجهوداته القصصية تلك، ألا وهي:

omerdammas.com

(دا من التراث السوداني).

نحن نعلم جيداً.. أنه وفي وقتنا هذا.. أنّ معظم خريجي الجامعات اليوم، لا يدركون معنى كلمة تراث مع أنهم يتلفظون بها كثيراّ.. وحتى بعض الكبار منا لا يعرفون عن التراث السوداني الكثير.. وذلك إما لغياب التراث عن المنهج الدراسي، أو عزوف مقصود عن الأسس التربوية للمجتمع.

معظم مجتمعات العالم.. وحسب ما شاهدت، تهتم اهتماماً بالغاً بتراثها.. فما تشاهده من وقائع ملموسة.. أو ما تتوصل إليه من آثار الثقافات المقروءة ..أو المسموعة.. أو ما تلمسه من سلوك مواطنيها، يوحي لك.. بأنّ هنالك نمطاّ خاصاً من الحياة لدى هذه الأمة.. وهو ما نعرّفه نحن بالتراث..

عليه وجب أن نهتم رسمياً بالتراث القومي السوداني... كي يصبح منهجاً قائماً في التعليم.. وتخصصاً منفرداً... وزارة... **تسمى.. (وزارة التراث القومي السوداني)**، وبذلك نستطيع أن نؤصل لقوميتنا ونزرع بذرة النمو.. والتطور... والتحدي، في نفس.. وفي وجدان.. وفي رؤية.. المواطن السوداني، أمل الأمة ومنارة مستقبلها.

مثلما للقصص من وجود في التراث السوداني... فقد نجد مضامين تراثنا في أشكال.. وأنواع متعددة، متعلقة بحياتنا وما يدور من حولها، ففي الشعر بأنواعه تراث.. وهو يعد من أكثر أنواع التراث أثراً.. فيما يهدف إليه، من معاني، وهو يشمل أشعار ما عرف **ب..(الدوبيت)**.. وما يعرف بالشعر المقفى.. في القصائد الشعرية.. العمودية.. الطويلة، كما نجد تراثنا في السجع.. وفي المأثورات من الأقوال.. وإلى غير ذلك من الأنماط الأدبية الشعرية...

omerdammas.com

يتجلى تراثنا أيضاً في العادات.. والتقاليد.. والصفات، الخاصة بالمجتمعات السودانية، المتعلقة بنشاطات حياتها المختلفة..

كما نجد التراث في العاب الصغار.. وألعاب الكبار.. ومجالات التسلية.. والرياضة، بل نجده في كل نشاطات أنماط الحياة المجتمعية.. من آليات، وأدوات، ووسائل، وأواني، ونظم متوارثة.. وآمال مشتركة.. ورغبات وتطلعات متشابهة.. في كثير من أهدافها.. ومعانيها.

يسرني أن أشير عزيزي القارئ... إلى أحد كتبي السابقة عن التراث **السوداني بعنوان:**

"قطرات من التراث السوداني."

فستجد فيه الكثير مما تتطلع إليه، من تراثيات ثابتة.. ومتحركة، علها تشفي غليلك.. وترضي بعضاً، من تطلعاتك التراثية الطموحة.

إنّ التراث عزيزي القارئ... متوافر وليس من الصعب الحصول على مضامينه، في عصرنا هذا... عصر التكنولوجيا، الغنية بأجهزتها.. وأدواتها المتعددة.. من وسائط ... وطرائق، تلك التي تقرب كل بعيد.. وتوفر كل مبتغى، إنما تكمن الصعوبة في حفظ هذا التراث، والاستفادة من محتوياته.. بكونها قوة دافعة للترقي وللتطور.

omerelammas.com

استخدمت **(الفصود)** و **(العلامات)** المختلفة، للتفريق بين الحيوانات من ناحية الملكية.. والسيادة.. وتطبيق القوانين الاجتماعية.. والعادات.. والتقاليد...عن طريق **(الكي)** أو الجراحة... على مناطق مختلفة من جسم الحيوان، وخاصة الأنعام.. وتعرف هذه الممارسة في الحيوانات **ب..(الوسم)...** إذ تختص كل قبيلة أو جهة **ب..(وسم)** خاص بها... مثل القطفة.. والشقة.. **(في الأذن)..** وثقب **(الشلوفة)...** والكي بالنار على الرقبة أو على الأجساد بصفة عامة.

إنّ مجتمع الأنعام في السودان... عزيزي القارئ... لا يقل أهمية، وكثافة، عن المجتمع السكاني البشري... بل فد تفوق أعداد الأنعام الأعداد البشرية، التي تعمر الأرض، بأضعاف ما هي عليه من كثافة... لذا نبعت أهميتها من هذا التجمع العددي الوافر... إلى جانب المنافع المتعددة والتسخير الإلهي، الذي اختص به الإنسان دون غيره من الكائنات الحية.

تكمن الاستخدامات لتلك الأنعام في: لحومها.. وشحومها.. وجلودها.. وأصوافها.. بل وبكل ما فيها من أعضاء.. وأجزاء، حتى روثها.. وأبوالها، ويعد ذلك مناً ورحمةً من الله.. على بني البشر.

حين تستدعينا خيالاتنا... وذاكرتنا، لأن ندنو من الأنعام مسافة، تجدنا نتوسط الأغنام **(الضأن، والماعز)..** والأبقار.. والجمال، وكأنا نرفل ونمشي الخيلاء، من فرط الدعة.. والإحساس، بنعمة الملك والتملك، فنحن هنا لا نشتم إلا طيباً... ولا نحس إلا لذة... ولا نرى إلاّ زاهياً، فممارسات تلك الأنعام الحياتية... تدفع بنا للتواؤم، والتجانس، معها فهي تولد الرغبة في الانتماء لبعضنا.. فكلنا حيوانات بالمنطق البيولوجي، نحمل روحاً باقية، وجسداً تداخله حتمية الزوال.

omerelamin.com

سنتناول في صفحات قادمات... إحدى مجموعات الأنعام.. من المنظور التراثي.. الخالد، والمتجدد، في ذات الوقت، عبر أعوام الحياة المتدافعة للأمام..

سنعرض على بعض من تكوينها الجسدي..

وبعضاً من سلوكياتها، وممارساتها،

وخلودها كتراث..

ظلت الأجيال المتعاقبة تعهده بالرعاية، والاهتمام...

كامتداد لتلك الاهتمامات...

التي خط طريق سيرها أجداد لنا...

في حقب ماضية،

فقد ظلت تمثل دافعاً لنا..

كي نخلد للرفاهية، ولسهولة العيش...

لدى من سبقنا من أجيال،

ولنا.. في حاضرنا...

ولمن يأتي من بعدنا..

من أحفاد...

omerelammas.com

الإبـــــــل

قال تعالى :

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)

صدق الله العظيم. الغاشية آية ١٧

تآلفت... والإبل، والتي سنشير إليها لاحقاً بالناقة أو الجمل، ومنذ نعومة أظفاري... حين كنت أقود **(ناقة)** جدي... في مراعي **(القوز)**، الذي كان يستلقي ما بين قرية **أب (بعرة)** وبلدتي التي كانت تكبرها أضعافاً مضاعفة، وهي تلك التي تنام وادعة على ضفة النيل الأبيض الغربية... حيث أتيح **للإبل** أن ترد الماء في جماعات مترادفة ومتتابعة... على دفعات متلاصقة..

تمثل كل دفعة **(مراحاً)** منفصلاً... يخص جماعة، أو شخصاً من أولئك الرعاة... الذين يتبعون الإبل.. راكبين على ظهور بعضها... أو راجلين، وقد كان بعضهم يصطحب أسرته الصغيرة... مستخدمين **(الهودج)**، وهو تصميم من الجلد.. والشعر.. والسعف أحياناً، يتشابه والخيمة.. ينصب على ظهر أحد الجمال الهادئة الطباع... الوادعة، ذات المشية الانسيابية، يعنى.. **(ضهره بارد)**، ويمثل **(الهودج)** منزلاً صغيراً متحركاً (mobile home).

تأتي تلك الإبل من أطراف **(كردفان)** الشرقية.. حيث يقل الماء كثيراً.. إلا من ذلك الذي ينهمر على الأرض، متدفقاً، أوقات الخريف... أو ذلك الذي يستخرج من جوف تلك الآبار العميقة... والتي يتم استخراجه منها

omerelammas.com

بمعاناة فائقة، تأخذ متسعاً من الوقت... وهو ينصب فيما لا يرضي طموحات الرعاة...

كنا، ونحن صغاراً، يعجبنا تدافع الإبل ذات الرقاب الطويلة المقوسة.. حيث ينتهي بها رأس صغير في نهايتها الأمامية.. تظل ترمقنا بعينين مستديرتين، تجيدان **(التبحلق)**، واختلاس النظرات الخاطفة، بين الفينة والأخرى، تتبعها أذنان صغيرتان.. تجيدان اقتناص الأصوات، مهما تناءت وبعدت...

كانت تعجبنا و تستهوينا كثيراً... حركة أرجل الإبل المتداخلة.. كما يخيل لنا.. وهي ذات الحركة المتموجة، التي كانت تنقلنا كثيراً إلى منظر سيقان غاباتنا.. المتداخلة أيضاً.. والقابعة حول الحمى... والتي كنا نراها تتحرك أيضاً.. عندما نكون متحركين، ونحن على ظهور دوابنا... إن كانت مسرعة.

كنا نحتار في عدم تداخل والتحام أرجل الإبل فيما بينها... أثناء ذلك المسير المتداعي.. القلق، تجاه المورد النيلي ذي المياه المترعة المتدفقة، التي يسهل الحصول عليها نسبة لانخفاض منسوب مياه النيل... وضحالة واستواء شاطئه.

يعد يوم **(سقاية الإبل)**.. من أجمل وأمتع أيام عمرنا، حيث كنا نتبارى في الذهاب لتلك الموارد... نتقافز صوبها في نشوة الطفولة البريئة.. وكنا كثيراً ما نجد بعض الإبل القليلة العدد... بصحبة أولئك الرعاة، الذين

omerelamin.com

يتقدمون مسيرة الإبل بوقت طويل وكافي، لإعداد أماكن الشرب... إذ أنّ الإبل لا ترتاد مياه النيل **(البحر)** مباشرة.. وإنما تعد لها أحواض دائرية... تبنى من الطين، لا يتعدى قطرها المترين.. ولا يتعدى ارتفاع حائطها نصف المتر... فهي كافية لأن تمكن الإبل من شرب الماء.. الذي يودع بداخلها بواسطة الرعاة، وحينما نسأل الرعاة بعضاً من الحليب يجيبوننا بأن ننتظر قدوم الإبل قريباً ..

في اليوم الموعود... نشهد تلك المسيرة الرائعة لتلك الإبل.. في مشيتها الانسيابية، مندفعة نحو المورد.. وكأنها قد أخبرت بالمهمة التي هي قادمة إليها، وهي **(السقاية)** .. وقبل الوصول لتلك الأحواض، تحبس الإبل المتدافعة بقوة... وهي تقتحم بناظرها.. ذلك الفيض المائي الهائل ..

ينظم الرعاة.. تلك الأعداد من الإبل، كي ترد في مجموعات صغيرة، لتلك الأحواض الملأ بالماء... خشية تحطيمها، وحتى تتمكن كل تلك الجموع من الإبل، من شرب الماء حتى الامتلاء.. والكل يدرك ويعلم أن الجمل يشرب كميات هائلة من الماء... تمكنه من الصبر على العطش، ساعات انعدام الماء... فتكوينه الجثماني معد لذلك.

تسير عملية **(السقاية)** حسب الخطة التي اختطها الرعاة ... وما على جموع الإبل إلا الامتثال لذلك... تحرك الإبل التي ارتوت من موضع لآخر.. حتى تتمكن من أخذ كمية إضافية من الماء وتخزينها... بما يرضي غرور **(الأبالة)..** لتأكيد صمود تلك الإبل أمام العطش، وقت انعدام الماء.

omerdammas.com

تستمر عملية **(السقاية)** تلك.. لثلاثة أيام كحد أقصى، حيث كنا نستمتع أثناءها بأصوات الإبل، والنغمات الجميلة الصادرة من **الحواشي (صغار الإبل)..** وفي ذات الوقت يحلب لنا لبناً مستساغاً... تمازجه حموضة رائعة، مقابل ما ندفع به إلى الرعاة من ملح.. أو خيوط قطنية **(غزل المترار)..** أو إبر كبيرة **(مسلة)..** أو غير ذلك...

كنا نحمل اللبن في أوانينا لبيوت ذوينا... علاوة على ما كنا قد شربناه في المورد، وفي مخيلتنا أنّ ذلك اللبن يشفي من أسقام البطن...وهو ما أطلعنا عليه الأجداد والآباء في القرية..

كما كنا نحمل معنا بعضاً من **(بعر الإبل الناشف)**.. وهو ما نسميه **(طور الجمال)**، فهو أسود ذو شكل كروي أملس، نستغله في لعب **(الكار)**... الذي يعتبر ممارسة هامة من ممارسات التسلية... عند المقيل، يساهم في لعبه الفتيان والفتيات، في ذات الوقت، إلا أن ممارستها بواسطة الفتيات هي الأرجح.

كانت بعض الأسر تستخدم **(الطور)**.. كبديل للحطب والفحم، في الوقود، نسبة لما يحتويه من عشب ناشف، غير مهضوم، كما أنّه لا يبعث بأي نوع من أنواع الروائح المنفرة... بل كنا نحمله في جيوبنا... وإن كثر عدده **ف..(نصرّه)** بأيدينا في **(العب)** بكسر العين وتسكين الباء... وهو الطرف الأمامي للعراقي أو الجلابية **(الفتح).**

omerelamin.com

كبرنا.. وكبرت أجسامنا.. و اتسعت خيالاتنا.. ونهلنا من العلم ما استطعنا استيعابه، فطرق أبواب معرفتنا... **أنّ لبن الإبل يشفي من أمراض البطن**، مثل مرض **(الاستسقاء)...** أو ما يعرف **ب..(ملي البطن)** أو **ب..(مرض الصعيد)..** أو **(السميح)**.. وقد شهدت بنفسي شفاء واحدة من تلك الحالات.

وفي فضائل الناقة ... جاء على لسان أحد **الرعاة:**

تشمل فضائلها الحل.. و الترحال..وحمل الأثقال، فقد كانت الناقة في جميع الأوقات.. المصدر الرئيس في معيشة السكان الرحل، سواء في الجدب أو الخصب **فكانوا:**

عليها يعتمدون

ومن لحمها يأكلون...

ومن لبنها يشربون...

ومن وبرها يلبسون...

وعليها يركبون...

وبها يفخرون...

من جلودها قرب..ومن لحومها نشب (يعني الشرموط)..

ومن بعرها حطب..وثمنها ذهب..إن حملت أثقلت..وإن مشت أبعدت..

وإن نحرت أشبعت..وإن حلبت أروت..وفي لحمها الدواء..

omerelammas.com

والنظر إليها عبادة..

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت).

فهي مال الأغنياء..وعز الأقوياء..

ولبنها شراب الملوك..

تتباهى بها الأقوام..

وتتفاخر بها القبائل.

نسبو إليها الأساطير..ونعتوها بالعصافير.)

وقد جاء على لسان أحد الأطباء، في التداوي بلحم الجمل، وذلك لما يحويه من عناصر هامة.. يحتاجها جسم الإنسان، كي يكون معافى وسليماً **فقال:**

١-يحتوي لحم الجمل على نسبة قليلة من الدهون لذلك ينصح بتناوله للحفاظ على الوزن المثالي.

٢-تناول لحم الجمل يقلل من الإصابة بالسرطان، نسبة لاحتوائه على نسبة عالية من الأحماض الدهنية غير المشبعة، بما تشمله من مضادات الأكسدة.. التي تقلل من خطر الإصابة بهذا المرض.

٣- يحد من الإصابة بأمراض القلب والتعرض ل..(السكتات القلبية).

٤-ينشط الخلايا العصبية.. ويقلل من الشعور بالتوتر والقلق.

٥-نظراً لاحتوائه على نسبة عالية من الحديد، فتناوله يعد غذاءً جيداً لمن يعاني من الإصابة بالأنيميا.

omerelamnas.com

٦- يساعد في تقوية الجهاز المناعي للجسم.

أورد الدكتور أحمد بن مسعود في ذكر الناقة **مايلي:**

(الناقة من طبعها الذكاء.. ولها أحاسيس غريزية تمكنها من معرفة منازلها، ومراعيها، ولو تغيبت عن مراعيها لسنوات... وهي في نزوع مستمر... وحنين لا يخبو، إلى الوطن، ولو كان جدباً قاحلاً...

وتستدل الناقة في بحثها عن الوطن... بالنجم، وبحاسة الشم، بل وبالهواء، والبرق، والغيوم، وتسير في اتجاهها...

والناقة مخلوق عجيب في طبيعته، وخصائصه، ومزاجه، وحنين الناقة إلى بعلها.. وراعيها.. أو الإنسان الذي يلازمها، ويرعاها، ويحلبها، كحنينها إلى وليدها وأشد من ذلك.

والناقة عندما تحن إلى بعلها، أو وطنها، تهزل.. وتضعف، وكثيراً ما تنتحب... وإذا قذفها المخاض هاجت.. ونزعت إلى موطنها... ولو كانت في مرعى خصيب.

لقد بلغت الناقة مكانة عظيمة.. في قلوب مربيها، وكثيراً ما تنافس رعاتها على اقتنائها... كابراً عن كابر، ومن شدة تعلقهم بها.. شرعت لها القبائل أعرافاً وعادات.. تحميها من الانتقال إلى الغير، ومن تلك الأعراف:

omerelamas.com

حرمان النساء من توارثها.. وامتلاكها، حتى لا تنتقل تلك السلالات من الإبل.. إلى قبائل أخرى، فالناقة هي الثروة الوحيدة التي لا تتبدد... وإعطاؤها وتقسيمها للنساء.. يعني تبديد الثروة ومن ثم فناؤها.).

هذه الصفات التي وردت في ذكر الناقة... أليست من تلك التي تجعلنا نتمسك بقول الله تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت).. صدق الله العظيم.

من طبائع الإبل... التي عرفها الرعاة عنها بالممارسة.. وبالتقرب منها.. والتعامل معها، في الحل وفي الترحال.. عند المراعي أو عند الموارد المائية... وغيرها، من الحالات نورد **ما يلي:**

- إذا تثاءبت النوق فيدل ذلك على أنها اشتمت رائحة سقوط المطر **(الدعاش).**
- إذا حكّت الناقة قوائمها **(أرجلها)**.. وكررتها، فتلك علامة للتنقل وللرحيل... ويفهم الراعي ذلك السلوك تماماً.

- إذا وقفت الإبل في **(المراح)**.. وتوقفت في مكانها، فتلك علامة جدب المراعي وقلة الكلأ.
- إذا مرض راعيها.. تجمعت حول مكانه.. وأحدثت أصوات منكسرة، تدل على الحنين والمواساة.

- إذا سمعت الإبل حديث الرعاة في أمر يخصها.. أنصتت، فإن كان الحديث في أمر يخص المطر نزعت إلى الأراضي **(الممطورة)**

omerelammas.com

وإن كان الحديث يخص أمر ذبحها.. نفرت وأفلتت من القطيع، ويصبح من الصعب الإمساك بها .

- إذا أحست الإبل بنمو المراعي فرحت وطربت... وعبرت عن فرحها بحركات تشبه الرقص.

- إذا سمعت صوت صاحبها ميزته وعرفته عن بقية الرعاة بل وتعرف رائحة راعيها دون غيره.
- إذا قسى عليها الراعي وزجرها... خرجت من مكانها هرباً.. وكأنها تهرب بكرامتها... فهي لا ترضى الإهانة ولا الاستحقار.

- إذا صاح راعيها من خلفها، دالاً لها، سارت إلى المكان الذي يريدها إليه... سوى أن كان ذلك مرعى أم منهلاً أو غيره.
- عندما ترغم الإبل على أمر ما... فإنها تضطرب.. وتذرف الدمع وتحزن حزناً شديداً.

- عندما يراد ذبح حيوان أمامها... تصاب بحالة نفسية قاسية.. ومن آثار ذلك.. العزوف عن الأكل والنفور من المرعى.
- تشعر الإبل كراعيها بالخوف... فإذا خاف الراعي، اضطربت الإبل، وهاجت وماجت.

- إذا ضل راكب الناقة الطريق... أرخى زمامها.. وأسلمها القياد، فتقود بحدسها وبذكائها إلى المياه أو إلى النجاة.
- في دياجير الظلام تعرف الإبل مواطن المهاوي والهلاك.. والمواطن الخطرة.. فتمنع صاحبها من السقوط.. وذلك بشدها الخطام **(الرسن).**

omerelamma.com

- **تشنف الإبل آذانها.. وتمد أعناقها، عندما تحس بالخطر القادم، فهي تنذر بالخطر قبل وقوعه.. فإذا أحست الإبل بالخطر.. نهضت ومدت أعناقها صوب اتجاه الخطر القادم... فيستعد الراعي للدفاع عن نفسه وعن إبله.**

الإبل مسخرة تسخيراً إلهياً للإنسان...منحة ورحمة منه تعالى... فهي تتميز بالطاعة العمياء لراعيها، وبسهولة قيادتها.. وهدوئها، فهي لا تتمتع بروح العداء.. أو الطباع الشرسة.. وبمعنى آخر فهي لا تفتك.. ولا تتهجم، فباستخدام **(الرسن)..** يمكن للفتى اليافع أن ينيخها... أو يحركها.. فيوجهها، وهو قابع على ظهرها أو راجلاً.

فهو في نفس الوقت لا يحتاج لسلم.. كي يرقى على ظهرها، أو أي وسيلة أخرى تساعده على ذلك... فعن طريق (الرسن) فقط، يمكن **إناختها**.. **ف..(تبرك)**، بلف الساق بالساق.. وكأنها تطبق نفسها، وتصبح بذلك قريبة من الأرض، حيث يتمكن صاحبها من الركوب على ظهرها... أو وضع الأثقال وترتيبها عليه... ومن ثم بحركة أخرى... تنهض الناقة واقفة... من غير عناء...تنتظر التعليمات التي ستصدر من صاحبها.

خصص الإنسان من الإبل أنواعاً... وسعى لتربيتها ولرعايتها الرعاية الكاملة... كي يتمكن من الاستفادة منها.. في أداء نشاطاته الحياتية بسهولة ويسر فصنفها **كالآتي:**

- الإبل المكارم وهي أجود أنواعها.
- إبل حمل الأثقال وهي إبل الرحيل.

omeralammas.com

- الإبل اللاحمة للحومها.
- الإبل اللابنة لألبانها.

- حاملات الوبر والصوف لأصوافها.
- إبل السباق كالبشارية.

مما تتمتع به الإبل عن غيرها من الحيوانات المستأنسة، لدى **الإنسان:**

الصبر.. وتحمل المشاق.. وحمل أثقال، قد لا يتحمل عبء نقلها، أي نوع من الأنواع الأخرى من الحيوانات.. فاستخدمت الإبل كثيراً في التجارة، في التأريخ القديم، حيث لم تتوافر وسائل النقل... فكانت الإبل هي الوسيلة الأنسب لنقل البضائع، على اختلاف أنواعها، عبر الصحارى.. والوديان.. وعبر الطرق الوعرة.. متحملة كل ما خطته الطبيعة من الصعاب، وغيرها من الأسباب المهلكة ...

غالباً ما تكون الطرق التي تسلكها، غير ممهدة.. أو وافرة المراعي.. أو وافرة الموارد المائية، لذا فقد أطلق على الجمل مسمى **(سفينة الصحراء)** .. إلى جانب ما خصه الله به، من التكوينات الجسدية.. التي تتواءم، وتتواكب، كثيراً.. مع تلك الطبيعة القاسية مثل الخف **(المفلطح)**.. وسماكة الجلد.. وتكوين الجهاز الهضمي، الذي يختلف اختلافاً كبيراً عن أجهزة بقية الأنعام... بما يحتويه من مخازن للماء.. وللعشب، وغير ذلك من الصفات التي تميز الجمل عن غيره.

تبعاً لذلك أعد الإنسان ما يعرف بالقوافل التجارية... والتي يختار لها أقوى الجمال، وأكثرها تحملاً.. وصبراً، وأوفرها ظهراً،

omeralmmas.com

واستعداداً.. لحمل البضائع، على تفاوت أوزانها.. واختلاف أحجامها.. متنقلة ما بين البلدان.. التي تتباعد مسافاتها.. والتي قد يتطلب السير فيما بينها عدة أشهر.

استخدم العرب القوافل بين الشام واليمن... في نقل وتبادل البضائع على أنواعها، وكانوا يتخيرون السير بينهما، حسب الأحوال المناخية السائدة في كل بلاد، فتوصلوا لما عرف برحلة **(الشتاء والصيف)**.. التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، إذ قال سبحانه وتعالى**: (لإيلاف قريش..إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) سورة قريش (آية رقم ١و٢)...**

فكانوا يتوجهون بقوافلهم صيفاً إلى الشام، حيث تكون الأحوال الجوية أكثر دفئاً.. وإلى اليمن شتاءً.. حيث تكون أكثر اعتدالاً وبرودة.

تتحمل الجمال كل معاناة المسيرة.. محملة بالبضائع والركبان، تحت تسخير إلهي تام، وكانت قافلة **قريش..** من أهم تلك القوافل.. وأكثرها وفرة ومالاً.. مما يدلل أنّ معظم أفراد القبيلة كانوا يمتهنون مهنة التجارة، وقد امتهنها خير البشر ..صلوات الله وسلامه عليه.. قبل الرسالة..

سار العرب بجمالهم لأبعد من ذلك في ممارسة تجارتهم... إلى أينما حطت الفتوحات الإسلامية برايات النصر... من أماكن.. أقيمت فيها روافد الدولة الإسلامية، في المغرب العربي والأندلس... كما هو الحال في بلاد فارس وما جاورها.

omeralmmas.com

لا يعني ذلك ابتعاد الجمل عن التعايش.. أو التأقلم.. على الحياة المائية، فالجمل يجيد السباحة بقدرة فائقة.. وكانت الجمال حينما تنزل أحمالها من البضائع.. في مواطن مراسي السفن، فإنها تدخل إلى الماء عائمة، تنشد الراحة.. وإزالة ما علق على أجسادها من الغبار والأوشاب.. وما التصق على أجسادها من الحشرات.. ومن الهوام.. **ك..(القراد)**...

لا يفرق الجمل في هذه الحالات.. ما بين الماء العذب.. أو الماء المالح، ففي كليهما يمارس نشاطات حياته... كما أنّ للجمل خاصية أنه، يمكن أن يعيش عمره كله.. معتمداً على المياه المالحة.

من أكرم الإبل.. وأجلها.. وأرفعها قدراً.. وأسماها مكانة، تلك الناقة التي أقلت خير البشر.. النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم.
في هجرته الميمونة.. من دار الشرك بمكة المكرمة، إلى دار الخير طيبة الطيبة، تلك هي (القصواء)..
المأمورة، المطيعة.. الذكية.. التي تحسن الاختيار.. المهولة.. ذات المشية الانسيابية الهادئة..
وذات الطبع الوديع.. في حلها، وفي ترحالها.. مباركة حين تبرك.. ووفية حين تنهض.. باردة الظهر..
أكثر النوق ألفة وانقياداً.. وهي فوق كل ذلك.. من مكارم الإبل وأنبلها وأجملها ..

جاء في سيرة (القصواء) أنّ:

ولادتها ومنشؤها..في مضارب (بني قشير)، بالجزيرة العربة.. وقد تم شراؤها من سيدنا أبي بكر خليفة رسول الله،

omerelamin.com

بأربعمائة درهم ..ذات لون أحمر.. يخالطه السواد والبياض.. لكنه للبياض أقرب..كانت تلقب بأسماء أخرى وهي:

(الجدعاء)...

و(القضباء)...

و(العصباء)...

يعني اسم (القصواء) المشقوقة الأذن بمعنى أنّها وُسمت ب..(الشقة)... كما هو معروف في وسم الأنعام.. لكنها لم تكن كذلك.. إنما وصفت بذلك لشدة سرعتها ..

اشتراها الرسول صلى الله عليه وسلم، وعمرها أربعة سنوات، وعاشت معه أحد عشر عاماً... وماتت بعد وفاة الرسول صلوات الله وسلامه علية، في أول خلافة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، بعد أن بان حزنها الشديد.. الذي لازمته الدموع، على فراق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، حينما رفضت الأكل والشرب، وهذا مما يؤكد أن صلة الإبل براعيها أو صاحبها، متعمقة، فهي تحس.. وبذكاء خارق، تتصرف كما أشرنا لذلك مسبقاً.

ولسنا ببعيدين عن ذكر الناقة المعجزة (ناقة سيدنا صالح) التي جاء ذكرها في القرآن الكريم:

(كذبت ثمود بطغواها..إذ انبعث أشقاها..فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها..فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم

omeralmas.com

فسواها..ولا يخاف عقباها) (صدق الله العظيم) سورة الشمس الآيات: (١١ – ١٥)...

تلك الناقة التي انشق عنها الصخر (الصخرة الكبرى التي كان يعبدها قوم ثمود)... وكان لها شرب يوم معلوم، فأنكر أصحاب ثمود ما جاء به **صالح نبي الله** فحاق بهم العذاب.

تتمثل المعجزة في أنّ الله قد اختار من الأنعام الناقة.. وربطها بالشرب.. والإقبال عليه، لسعة مخازنها المائية.. التي ذكرنا في سالف حديثنا.. ولارتباط الناس بالماء في حياتهم... ففيها بقاؤهم وفناؤهم.

في عصور سابقة... مرت بوطننا السودان، ظهر هنالك من الفرسان في ربوع بلادنا.. حيث تكثر تربية الإبل، أفراد يعرفون **ب..(الهمباتة)..** وهم أولئك النفر من ذوي الجرأة والجسارة.. التي تدفعهم لسرقة الإبل.. أو استلابها، من أصحابها عنوة.. أو خفية، ويتفرقون بها ما بين القطعان... في مناطق مشتتة.. من تلك المراعي المتعددة والمنتشرة، في مناطق تعمرها قبائل مختلفة.

كما أنَّه قد يتم اختلاط **(المرحات)**، مع بعضها، في موارد المياه أو المراعي.. مما يصعب فرز الإبل المتسربة بين تلك المرحات، ورغم حذاقة الرعاة.. وذكاء نوقهم، إلاّ أنه يصعب التفريق بين النوق.. وذلك لوحدة سلالاتها.. أو لتقارب ألوانها، فمنها وعلى سبيل **المثال:**

omerelammas.com

الأحمر، والأصهب، والأبيض، والأصفر، والأغبش، وكثير من الصفات الأخرى غير الألوان.

ذاك مما حدا بالرعاة وضع بعض العلامات.. على أجساد إبلهم، لتميزها عن غيرها من الإبل... فاستحدثت بذلك علامات مختلفة، يختص كل منها بقبيلة معينة.. أو بمرحات مختلفة.. تتميز بها عن بعضها البعض، وتعرف هذه العلامات **ب..(الوسم)..** وهو الذي يماثل **(الشلوخ)** لدى البشر.

يتم خط الوسم.. باستخدام الآلات الحادة، أو المحاور **(محاور الكي)**.. باستخدام النار، ومن أنواع **(الوسم)** السائد بين الإبل.. والذي يتماشى مع سماكة جلودها مقارنة بجلد الإنسان...

(الشقة).. وهي عبارة عن شق أذن الناقة جزئياً.. وطوليا، سوى أن كانت الأذن اليمنى أو الأذن اليسرى... وهناك الشقة التي تترك طرفاً متدلياً ومتحركاً.

(القطفة).. وهي عبارة عن قطع طرف الأذن، لتصبح الأذن **(مشرومة)** وهنالك جدع الأذن بالكامل.

وهناك **ثقب الشفة العليا أو ثقب الشفة السفلى**
وهنالك **الكي** .. بخطوط معينة قد تكون مستقيمة، أو دائرية، على مقدمة الرأس... أو على جانبية، وقد تكون **(الكيات)** على جانب واحد من الرأس، أو على جانبي العنق.

omerelammas.com

ولعله من الحكمة... أن يختار موضع الوسم في الرأس، وليس في الأطراف.. لأنه الأصل، فالأطراف قد تبتر لأي سبب من الأسباب، أما بتر الرأس فيؤدي إلى الهلاك.

قد يستعيض الرعاة بالجلد، وما عليه من علامات، بعد سلخه...إلاّ أنه ورغم ذكاء الناقة... ونفورها من التواجد في **(مراح)** غير ذلك الذي نشأت فيه... وعدم استقرارها، ورغم رجاحة عقول الرعاة، وفهمهم لطبائع إبلهم، إلاّ أنّ **(الوسم)** يصبح ضرورياً.. في التفريق ما بين الإبل، ومثلما أنّ **(الشلخ) و (الفصد)** مهمان لدى الإنسان.. في حقبة مضت، فكذلك الوسم يعد مهماً في الإبل، لأهميتها.. وللحفاظ على ملكيتها.

لا شك أنّ الإبل تعد من أميز أنواع التراث القديم، في السودان، منذ أن عرف الإنسان الحياة... في ظل التواجد الحيواني من حوله، وقد أفردنا هذه الصفحات للإبل... كمثال للتراث الحيواني، الذي كان من أميز النشاطات الحياتية لأهلنا في السودان، في تربيتها.. والاهتمام بها.. واستخداماتها...

يبدو أنه ومما لا شك فيه... فقد كانت هذه الاستخدامات، نقطة انطلاق في سبيل ارتقاء الإنسان السوداني.. في حياته، من جهة نبش الفكرة الأساسية.. وتطويرها.. مع الإبقاء عليها.. كمجال هام للمعرفة.. والتعلم...

لقد كانت الممارسات الحياتية... بين الإنسان السوداني والإبل... في جميع جوانبها.. مثل النقل.. والغذاء، وغير ذلك.. مما يستفاد منه

omeredammas.com

في الحيوان.. كانت مجالاً واسعاً.. لتطوير جوانب الحياة.. ولتطوير الإنسان في ذات الوقت.

نسبة لأهمية الإبل.. وعظمتها، عند الإنسان، فقد أطلق الناس عندنا في السودان... مسمى **(الجمل)**، على كثير من الرجال.. سوى أن كان اسما حقيقياً.. أم كنية، وأطلق ذلك في وقت كانت الأسماء العظيمة... مراماً ومبتغى للكثيرين، حيث أنها تحدث عن القوة.. والشجاعة.. والكرم، وما إلى ذلك من الصفات المحببة... التي تؤكد مكانة المسمى... في ظروف كانت تتمتع فيها جموع السودانيين، بالغارات.. والنزاعات.. بين القبائل، فكان لمسمى **(الجمل)** شأناً كبيراً... على عكس كنية الرجل **ب..(الناقة)...** فهي توحي ببعده عن مسارات الرجولة، فإن قيل للرجل **(يا..ناقة)..** فقد تلبسته أثواب الخزي والعار، وذلك لما تتميز به **(الناقة)** من صفات وخصال غير تلك التي يتميز بها **(الجمل).**

عليك عزيزي القارئ التدبر في معاني الآية الكريمة:

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) صدق الله العظيم.

فيها يتجلى معنى التدبر.. والتفكر.. في الخلق، وما يحويه من معرفة غابت عن أذهاننا... تحمل الفرد منا لآفاق الإيمان والتوحيد.

إلى اللقاء،،،،،

omerelamin.com

omerelammas.com

omerelammas.com